انتشار الإسلام في كوردستان

دراسة تاريخية تحليلية

د .احمد ميرزا ميرزا [*]

مقدمة

شملت هذه الدراسة تعريفاً موجزاً بمنطقة كوردستان والكرد وأصولهم التاريخية التي دلت على أهمية الكورد وعراقتهم في ميادين الحضارة الإنسانية.

لقد كانت علاقة الكرد بالإسلام قديمة وحددت بعض المصادر وجودها منذ بداية ظهور الإسلام حيث قابل الصحابي جابان الكردي الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة، وحضر مجموعة من التجار الكورد من إقليم الجزيرة إلى الطائف واسلموا هناك ثم رجعوا إلى مدنهم وقاموا بنشر الإسلام فيها، وشارك القائد ديلم الكوردي – الذي اسلم على يد الصحابي جابان وكان رئيس الحرس الكسروي سابقاً – في القتال مع المسلمين ضد القوات الساسانية في معركة القادسية.

(*) كلية الآداب / جامعة صلاح الدين.

ولكن البداية الرسمية لدخول الكورد في الإسلام كانت بعد انتصار المسلمين في جلولاء سنة ١٦هـ / ٦٣٥م. وكانت بداية دخول الإسلام إلى كوردستان فيها الكثير من الدلالات الإيجابية، لان الكورد اتخذوا من الفاتحين موقفا إيجابيا وجل الحرب التي وقعت مع الفاتحين لم تكن مع الشعب الكوردي وانما مع القوات المحتلة لكوردستان من الساسانين والبيزنطينين والذين تضررت مصالحهم من دخول المسلمين، علما بأن الكورد توحدوا بالإسلام بعد تفرقهم منذ سقوط دولة ميديا الكوردية.

إضافة إلى الجوانب التاريخية فقد شمل البحث دراسة تحليلية لأسباب انتشار الإسلام في كوردستان. وقد عرض الباحث آراء علمية دقيقة توضح صدق العلاقة الأخوية بين الكورد والمسلمين العرب، وان الإسلام انتشر بينهم باختيار الكورد أنفسهم وليس بحد السيف أو الخوف، وقد دل الباحث على صدق آرائه بالاعتماد على العديد من المصادر الأصلية والدراسات المحايدة.

وكانت في مقدمة المصادر المعتمدة، كتاب (فتوح البلدان) الشهير للبلاذري، وكتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي، وتاريخ الطبري، ومن المراجع الحديثة كتاب (التاريخ الإسلامي) لمحمود شاكر و (خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان) لمحمد أمين زكي و (ظهور الكورد في التاريخ) لجمال رشيد وغيرها من المصادر والمراجع.

يعد الكورد أحد شعوب غربي قارة آسيا اتخذت من البلاد الجبلية الواقعة شرقي تركيا وغربي إيران وشمال العراق وسورية وجزء من الاتحاد السوفيتي السابق موطنا لهم منذ القدم(١).

ويوجد صيغ متعددة للفظة الكورد في التاريخ دلت أحيانا على مفاهيم مختلفة عما هي عليها الآن، فمثلا ان لفظة (كور) تعني الجبال عند السومريين(٢) وفي الفترة الآشورية اصبح الاسم يعني الرجل الشجاع ذو الصحة والقوة الحدسية واستمر ذلك المصطلح شائعا ولكن ليعني به كل من قدم من منطقة الجبال بغض النظر عن القومية أو الأصول العرقية(٣).

وأصبحت كلمة الكورد تعني على الأكثر منذ ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) ولحد الآن، مفهوم أناس تمتعوا بكل المميزات القومية التي نمت عبر مراحل تاريخية مرت بها مناطق سكناهم(٤).

ويعتقد بان ارض كوردستان الحالية ان لم تكن المهد الأول للبشرية فهي من أوائل المناطق التي ظهرت فيها الحياة ونمت فيها الحضارة(٥).

فهي تقع ضمن المنطقة المناخية المعتدلة منذ بدايات الحياة على هذه

(١) لمزيد من المعلومات ينظر: جمال رشيد احمد، ظهور الكورد في التاريخ، (اربيل، ٢٠٠٣) ص ص ٤٤٧، ٤٢٧.

(٢) يوسف خلف عبدالله: الكورد وعلاقته بالمفردات السومرية من خلال النصوص المسمارية، مقال منشور في مجلة شاندر الدورية، (اربيل ٢٠٠٠) العدد (١٢) ص ص ١١٢- ١١٤.

(٣) جمال رشيد احمد وفوزي رشيد: تاريخ الكورد القديم، (اربيل، ١٩٩٠) ص ٧.

(٤) لمزيد من المعلومات ينظر: جمال رشيد: ظهور الكورد، ص ص ٤٥٦ _ ٦١٥.

(٥) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة، (بغداد، ١٩٧٣)، ج١، ص ١٧٣.

الأرض[٦]. ووجد الآثاريون في كهف شاندر هياكل عظمية تعود إلى حوالي ستين ألف سنة[٧]. وانتقل الإنسان في كردستان من مرحلة جمع القوت في معيشته إلى إنتاج القوت (أي الزراعة) وقرية جرموا شاهدة على ذلك[٨].

ووجد فيها العصر الحجري المعدني الذي يعود إلى (٥٥٠٠-٣٥٠٠ق.م) واستطاع ساكنو هذه المنطقة من تعدين الحديد والنحاس والمتاجرة بهما في المنطقة[٩].

وظهر على ارض كوردستان ما يعتقد انه العصر الشبيه بالكتابي حيث وجد في تل براك قرب الخابور كتابات صورية بنصين واللافت للنظر انها قد تعود إلى فترة ما قبل الوركاء[١٠] لان الأمر ما زال قيد الدراسة.

ويعتقد ان الحضارة انتقلت من ارض كوردستان إلى الغرب وليس هذا فحسب بل يعتقد بأنه قد تم تقديم القسم الأول من مسرحية الحضارة في كوردستان على يد مجموعة من الفلاحين ومن ثم تم تقديم القسم الثاني منها في جنوب العراق[١١].

---

(٦) ف. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، (القهرة، ١٩٨٣)، ص ٥٠. ولمزيد من التفاصيل ينظر: حكيم احمد مام بكر: الكورد وبلادهم عند البلدانين والرحالة المسلمين، رسالة دكتوراه، جامعة صلاح الدين، (اربيل ٢٠٠٣)، ص ص ٧٨ ـ ٨٢.

(٧) طه باقر: مقدمة، ج١، ص ١٨٣.

(٨) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، (بيروت، ١٩٨٥) ص ٤٠.

(9) Jespert Eidem and Jorgen Laessos: The Shemshera Archives 1 the Letters P. 29.

(10) Ann Lomis Perking, comparative archaeology of early Mesopotamia, (issued by Chicago university) pp 2-4.

(11) J.R. Braidwood and Bruce Howe with contribution by others, Prehistoric investigation in Iraqi Kurdistan, (issues Chicago university, 1959, p. 69).

وقد تكون هذه التطورات هي الأساس لتبنى على أجزاء واسعة من هذه الأرض حضارة بلاد ما بين النهرين (Mesopotamia) والتي يعتقد انها أول واشهر حضارة في العالم(١٢).

ومن الجدير بالذكر ان ارض كوردستان يحتمل ان تكون المهد الثاني للبشرية على اصح الروايات إذ ورد في القرآن الكريم ان سفينة نوح عليه السلام رستْ على جبل الجودي بعد ان سكن الطوفان(١٣).

يقول سترك في دائرة المعارف الإسلامية: ان الكتاب المسيحيين أطلقوا على جبل (الجودي) اسم جبل كوردوئين(١٤).

ومن المعالم البارزة أيضا على عراقة منطقة كوردستان مدينة اربل (اربيل) التي لم تنقطع عنها الحياة طيلة ستة آلاف سنة(١٥). ومن المفيد ان نشير هنا إلى ان دولة ميديا الكوردية نشأت في الألفية الأولى وكان لها دور سياسي وحضاري في تاريخ المنطقة(١٦).

---

(١٢) بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا): في زمن ما بين القرن الرابع والثاني ق.م ظهر في استعمال الكتاب اليونان والرومان المصطلح الجغرافي المعروف، بلاد ما بين النهرين، أي التسمية الإغريقية (Mesopotamia) وهو المصطلح الذي شاع استعماله حتى بعد ذيوع استعمال تسمية العراق، طه باقر: مقدمة، ج١، ص ١١.

(١٣) ١١. الأية الكريمة.

(١٤) سترك، دائرة المعارف الإسلامية، ( ) ج١، ص ١٠٦.

(١٥) ينظر طه باقر: مقدمة ص ص ٥٨٨، ٢٣٧، ٢١٤، ١٤٨. ينظر اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٢٧. الطبري: تاريخ، ج٨ ، ص ٢٧٠. الدولة البيزنطية: ص ٢٨١.

(١٦) يعد بعض المؤرخين المبديين من أجداد الكورد الحالين، كونوا دولة واسعة الأرجاء وكانت عاصمتها (اكبتانا) مدينة همدان الحالية. ينظر: محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد، ص ص ٥٩ ـ ١٠٥ ـ ١٠٧. سامي سعيد الاحمد وجمال رشيد: تاريخ الشرق القديم، (بغداد، ١٩٨٨) ص ص ٣٦٤ ـ ٣٧٠.

وعندما ظهر الإسلام كان الكورد من أوائل الشعوب التي اعتنقت الإسلام بكل رحابة صدر لا بل واحتضنته، وظهر بينهم فقهاء ومحدثين ومؤرخين وعلماء إجلاء في شتى أنواع المعرفة وقدموا للإسلام خدمات جليلة[١٧].

ولم يكن تاريخهم في عصر صدر الإسلام وفيما بعد سوى ناحية مهمة من تلك النواحي التي تتعلق بالتاريخ الإسلامي العام، كانوا كالسد الذي تحطمت على صخرته الهجمات التي شنها الغزاة على أطراف الدولة الإسلامية في الشمال حيث دولة الخزر وكرجستان[١٨] أو في الغرب حيث دولة الروم البيزنطيين وحلفائهم الأرمن[١٩] وتمكنوا بعد فترة استقرار من ان يساهموا في تكوين إحدى أقوى الدول الإسلامية التي استطاعت وقف الغزو الصليبي للديار الإسلامية، وكانت ذروتها إنقاذ القدس الشريف من براثن الصليبيين على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م[٢٠].

---

(١٧) حسام الدين علي غالب النقشبندي: الكورد في الدينور وشهرزور، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة (بغداد ١٩٧٥)، ص ص ٦٤ ـ ١١٢. فائز محمد عزة: الكورد في الجزيرة وشهرزور، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة صلاح الدين، (اربيل، ١٩٩١) ص ص ٨٤ ـ ١٠٦. احمد ميرزا ميرزا: غربي إقليم الجبال في صدر الإسلام، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة صلاح الدين، (اربيل، ١٩٩٥)، ص ص ٧٩ ـ ١٠١ نيشتمان بشيرٌ محمد: الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية لغربي إقليم الجبال، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة صلاح الدين (اربيل ١٩٩٥) ص ص ٥٣ ـ ٦٤ ـ ١١٨ ـ ١٦١. غيرها....

(١٨) ينظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي (بيروت، د.ت) ج٢، ص ٢٢٧. الطبري: تاريخ، ج٨، ص ٢٧٠.

(١٩) الطبري: تاريخ، ج٩، ص ص ٥٦، ٥٧. الازدي: تاريخ الموصل، (القاهرة، ١٩٦٧)، ص ٤٢٤. اسد رستم: الروم وصلاتهم بالعرب، (بيروت، ١٩٥٥)، ج، ص ٢١٥. فاز يليف: العرب والروم، (القاهرة، ١٩٣٤)، ص ١٢٧.

(٢٠) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ص ٣٣ ـ ٣٥. ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، (القاهرة، ١٩٩٤)، ص ١٣٤. العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، (د. ط)، (د.ت) ص ص ١٢٧، ١٤٦.

لم تشر المصادر التاريخية والبلدانية إلى الحدود القومية للكورد ولكن العديد من الرحالة والبلدانيين المسلمين الذين زاروا كوردستان أشاروا إلى وصف دقيق للمنطقة وسكانها الكورد وغيرهم والى أحوالهم الدينية والسياسية والاجتماعية و الاقتصادية[٢١] وأصبحت هذه الدراسات مادة أساسية قيمة لبحوث مستقبلية لاحقة إذ قام بعض الباحثين بمحاولات جدية لتحديد المناطق الكوردية رغم ما يعتري غالبية بعض تلك الدراسات من نواقص[٢٢] إلا انها استطاعت إلى حد قريب تحديد المنطقة. وبعد ان توسعت الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام بتقسيم الدولة إداريا إلى أقاليم من اجل تسهيل أدارتها فكان التحديد قد تم على هذا الأساس لمناطق كوردستان.

أ. إقليم الجبال:[٢٣]

ب. إقليم الجزيرة[٢٤]

---

(٢١) ينظر كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، (بغداد، ١٩٥٤)، ص ٢٢١. ابن خرداذبة: المسالك والممالك (بريل- ليدن، ١٨٨٩)، ص ص ٥٧-٩٥. ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان (بريل ـ ليدن)، ص ٢٠٩. المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (بريل- ليدن، ١٩٠٦)، ص ٣٨٦.

(٢٢) ينظر هامش (١٧).

(٢٣) أطلقت تسمية الأقاليم أو الجبل على قسم من بلاد الكورد وذلك لان الغالب عليها الجبال الشاهقة، ويحد الأقاليم من الشمال إقليم الديلم وجيلان و منطقة غربي الجزيرة ويحد الأقاليم من الجنوب إقليم خوزستان، وشيء من العراق، اما من جهة الشرق فيحدها مفازة خراسان وفارس وأصفهان، ومن الغرب سهول العراق والجزيرة الفراتية وأذربيجان. لمزيد من المعلومات ينظر: احمد ميرزا ميرزا، غربي إقليم الجبال. ص ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٢٤) أطلق عليها اسم الجزيرة، لوقوعها بين نهري دجلة والفرات. ويحدها من الشرق أذربيجان والجبال، ومن الغرب بلاد الشام، ومن الجنوب العراق، ومن الشمال أرمينية وبلاد الروم. ينظر زرار صديق توفيق: الكورد في العصر العباسي، ص ص ٢٤ ـ ٢٩.

ج. شهرزور[٢٥].

د. أذربيجان (اتروباتكان)[٢٦].

هـ. إقليم أرمينيا[٢٧].

و. إقليم الأهواز[٢٨] وفارس[٢٩].

الفتح الإسلامي لمناطق كوردستان

كانت المنطقة الكوردية في تلك الفترة منقسمة بين الدولتين الساسانية والبيزنطية ولكن الجزء الأكبر كان ضمن الدولة الساسانية، في غياب أي كيان

(٢٥) شهرزور: تسمية قد أطلقت على منطقة ومدينة معا، وهي المنطقة الواقعة بين حلوان وخانقين جنوبا واربل شمالا وجبل السلق (جبل لاهيجان الحالي) المشرف عليها شرقا، وداقوقا (داقوق) وكورة باجرمي (محافظة كركوك حاليا) غربا، ينظر حسام علي غالب النقشبندي، الكورد في الدينور، ص ص ٤٨ ـ ٥٦.

(٢٦) أذربيجان، هو الصياغة الإسلامية لمصطلح (اتروباتكا) الذي يستعمل من قبل المؤرخين الأرمن، وهو إقليم واسع يقع بين بلاد الجبال وبلاد الران (آران)، يحدها من الشرق بحيرة الخزر ومن الغرب حدود امينيا و شيء من حدود الجزيرة، ومن الشمال أرمينيا ومن الجنوب حدود العراق. ينظر: حسام الدين النقشبندي: أذربيجان رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة، (جامعة بغداد ١٩٨٦)، ص ص ٣٤ ـ ٣٧.

(٢٧) أرمينيا: تقع أرمينية في أقصى شمال ارض الدولة الإسلامية فهي تقع بين أذربيجان وآران شرقا وبلاد الروم شمالي الجزيرة الفراتية غربا، و الجبال وولاية دياربكر التابعة للجزيرة جنوبا، وجبال القبق وبلاد الكرج و الغز شمالا. ينظر: صلاح الدين أمين طه، رسالة دكتوراه، (بغداد، ١٩٧٩) ص ص ٢٢ ـ ٢٣. زرار صديق توفيق: الكورد في العصر العباسي، ص ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٢٨) وهو إقليم صغير وذو حدود واضحة ومحددة، من الشرق إقليم فارس وأصفهان ومن الغرب كورة واسط التابعة لإقليم العراق، ومن الشمال كورتي الصيمرة واللر التابعتين لإقليم الجبال ومن الجنوب الخط الوهمي الممتد من واسط إلى بحر العرب ينظر: زرار صديق، الكورد في العصر العباسي، ص ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٢٩) يحدها من الشرق إقليم خوزستان ومن الغرب إقليم كرمان ومن الشمال اصفهان ومفازة خراسان ومن الجنوب بحر العرب. ينظر: زرار صديق، الكورد في العصر العباسي، ص ص ٤٠ ـ ٤١.

سياسي خاص بهم في تلك الفترة ومن ثم فان تقسيمهم بين تلك الإمبراطوريتين يتغير بتغير قوة كل من الدولتين والتي كانت ارض كوردستان مسرحا لذلك الصراع بين الدولتين(٣٠).

في ذلك الوقت توالت الانتصارات الإسلامية على الدولة الساسانية وكانت ذروتها الانتصار العظيم في معركة القادسية سنة ١٦هـ/٦٣٧م(٣١)، وعلى أثرها جرت اتصالات بين القائد العام للقوات الإسلامية في العراق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه(٣٢) والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشان ما يجب عمله فكانت أوامر الخلافة صريحة في استثمار النصر وفتح المدائن عاصمة الدولة الساسانية، وتحرك الجيش باتجاه المدائن حيث تمكن بعد إزاحة المقاومة الساسانية من دخولها مما أدى إلى فرار الملك الساساني يزدجرد مع أفراد حاشيته(٣٣)

(٣٠) البلاذري: فتوح البلدان، ص ص ١١١، ١١٧، ٢٢٣، ٢٣٥. الطبري: تاريخ، ٥٣ _ ٣٧، ١٠٢ _ ١٠٣. احمد عادل كامل: فتوح الشرق، ص ص ١١٩_ ١٢٢. وفتح بلاد الشام (بيروت، ١٩٨٢) ص ص ٣٤ _٣٧.

(٣١) البلاذري: فتوح، ص ص ٢٥١-٢٥٨. الدينوري: الأخبار الطوال، ص ص ١٠٧-١٣١. ابن اعثم: الفتوح، ج١، ص ص ١٩٥، ٢٠٣. الطبري: تاريخ، ص ص ٢٥١-٢٥٨. ابن الأثير: الكامل، مج٢، ص ص ٣٢٤-٣٣١.

(٣٢) صحابي مشهور اسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو من العشرة المبشرة بالجنة، شارك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معظم المشاهد، كما قاد المسلمين في معركة القادسية عام ستة عشر للهجرة. ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص ١٣٩. ابن حجر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٦٠٧. محمود شيت خطاب: قادة فتح العراق والجزيرة، ص ص ٢٤٨-٢٩٦.

(٣٣) البلاذري: فتوح، ص ٢٥٨. الدينوري: الأخبار، ص ص ١١٥-١٢٠. الطبري: تاريخ، ج٢،ص ص ٥٨٦-٥٨٧. ابن اعثم: الفتوح، ص ص ٢١٣-٢١٨. ابن الأثير: الكامل، مج٢، ص ص ٣٣٦-٣٣٧.

وتحرك الجيش الإسلامي صوب أولى المعاقل التي تحصن فيها الجيش الساساني وهي مدينة (جلولاء)[٣٤] وقد اتفقت اغلب المصادر الإسلامية بان فتحها كان في سنة ١٦هـ وعلى يد الصحابي هاشم بن عتبة بن أبي وقاص[٣٥]. وقد عد المؤرخ الكوردي محمد أمين زكي بك بأن هذا الفتح كان أول اتصال للكورد بالإسلام[٣٦]. وبعده توالت انتصارات المسلمين فاخذوا يفتحون مدن غربي إقليم الجبال الواحدة تلو الأخرى بدأ من حلوان وماسبذان وقرماسين (كرمنشاه) و الدينور سنة ١٦هـ. وتوجت هذه الانتصارات بمعركة نهاوند سنة ٢٢هـ والتي انتصر فيها المسلمون انتصارا ساحقا ويسمى هذا الفتح في التاريخ بـ(فتح الفتوح) لأهمية هذا الانتصار ومن ثم فتحت همدان في سنة ٢٢هـ[٣٧].

ولما أحس البيزنطيون بضغط الفتوحات الإسلامية عليهم قاموا بتحشيد قواتهم المتكونة من مقاتلي الروم وحلفائهم لمواجهة المسلمين بمدينة تكريت وكانت قد وصلت اخبار تلك الحشود إلى مسامع سعد بن أبي وقاص فكتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه بذلك فكان ان أمر بجعل عبدالله بن المعتم[٣٨] قائدا لجيش

---

(٣٤) مدينة تابعة للسواد بينهما وبين خانقين سبعة فراسخ (والفرسخ يساوي ٥-٦ كم). ياقوت: معجم، ج٢ ص ص ٢٩٠-٢٩١.

(٣٥) البلاذري: فتوح، ص ص ٢٩٥ _ ٣٠٢. الدينوري: الأخبار، ص ص ١٥-١٣٣. خليفة بن خياط: تاريخ، ص ص ١٢٧-١٥١.

(٣٦) خلاصة، ص ١٢٣.

(٣٧) البلاذري: فتوح، ص ص ٢٩٦-٣٠٢. الدينوري: الأخبار، ص ص ١٦-١٣٣. خليفة بن خياط: تاريخ ص ص ١٢٧ _ ١٥١. الطبري: تاريخ، ج٤، ص٣٥.

(٣٨) صحابي جليل شارك في قتال المرتدين، كما كان قائدا لميمنة جيش سعد في معركة القادسية وشارك في فتح المدائن، ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٢٩٥. الطبري: تاريخ، ج٤، ص ٣٥.

مكون من خمسة آلاف مقاتل بالهجوم عليهم في مدينة تكريت في سنة ١٦هـ وكان النصر حليف المسلمين(٣٩).

وكان الخليفة عمر رضي الله عنه قد أمر سعدا بالتوجه إلى مدينة الموصل لفتحها بعد فتح تكريت، وقد فعل ذلك سنة ١٦هـ وهناك روايات مختلفة حول فتح المدينة اختلفت في تحديد ازمانها والجهات التي تقدمت منها القوات الإسلامية(٤٠).

كان المسلمون قد وجهوا جيشا لفتح الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح(٤١). وعندما وصلت الأخبار إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمحاصرة الروم في حمص وان أهل الجزيرة قد بعثوا برسائل إلى هرقل عظيم الروم طالبين منه إرسال المدد لإخراج المسلمين من الأرض التي سبق ان استولوا عليها، كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما بإرسال المدد، وعندما سمعت القوات البيزنطية المحتشدة في منطقة الجزيرة بوصول الإمدادات من العراق إلى المسلمين ارتدوا عن حمص فاستطاع أبو عبيدة من هزيمة القوات البيزنطية المرابطة هناك(٤٢).

---

(٣٩) خليفة بن خياط: تاريخ، ج١، ص ١٣٤. الطبري: تاريخ، ج٤، ص ص ١٣٥-١٣٧. احمد عادل كامل: فتوح الشرق، ص ص ١١٩ ـ ١٢٢.

(٤٠) الواقدي: فتوح الشام، ج٢، ص ص ١٨٢ ـ ١٨٣. البلاذري: فتوح، ص ٣٢٣. الطبري: ج٤، ص٣٧. ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص ص ٣٦٤-٣٦٥. ابن كثير: البداية والنهاية: مج٤، ج٧، ص٧١. احمد عادل كمال: فتوح الشرق، ص ص ١٢٣-١٣٥. محمود شيت خطاب: قادة فتح العراق والجزيرة، ص ص ٣٧٣-٣٨٧. عبدالماجد احمد السلمان: الموصل في العهدين الراشدي والأموي، (الموصل، ١٩٨٥) ص ص ٣١-٣٤.

(٤١) البلاذري: فتوح، ص ١٧٢. الدينوري: الأخبار، ص ص ١٠٧-١٣١. الطبري: تاريخ، ص ص ٥٥-٦٠.

(٤٢) الطبري: تاريخ، ج٤، ص ص ٥٠، ٥٣. ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ص ٩٥٢-٩٥٣. ابن الجوزي: المنتظم في اخبار البشر، ج٤، ص٢٢٣.

وبعد تلك الانتصارات خرج عياض بن غنم على رأس جيش كبير لفتح الجزيرة واستطاعوا من فتح مدنها الواحدة تلو الأخرى(٤٣).

وقد شجع انتصار المسلمين السريع في الجزيرة من الناحية الإدارية والجغرافية القائد عياض بن غنم للمضي لفتح مناطق تابعة لأرمينيا إداريا وجغرافيا(٤٤).

اما شهرزور فهو اسم كوره و مدينة(٤٥) وهناك اختلاف حول من وكيفية و سنة فتحها ولكن البلاذري المتخصص بالفتوحات يذكر بان الذي فتحها هو عتبة بن فرقد السلمي(٤٦) وذلك في سنة ٢٠هـ(٤٧).

واستمر عتبة بن فرقد في فتوحاته واستطاع ان يفتح جزء من أذربيجان(٤٨)، وقام القائد حذيفة بن اليمان بفتح الجزء الباقي منه فيما بعد وذلك في سنة ٢٣هـ(٤٩).

---

(٤٣) البلاذري: فتوح، ص ١٨٠. الطبري: تاريخ، ج٢، ص٥٤. ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٥٣٢. ابن الفقيه الهمداني:مختصر كتاب البلدان، ص ٧٦.

(٤٤) البلاذري: فتوح، ص ١٩٣. الطبري: تاريخ، ج٤، ص ص ٥٣-٥٦. ابن الأثير: الكامل، مج٢، ٥٣٥.

(٤٥) سبق وان عرف إقليم شهرزور.

(٤٦) عتبة بن فرقد السلمي: صحابي اسلم قبل غزوة خيبر، شارك بقسط كبير في جهاد المرتدين، وشارك في فتح الوصل، ثم اصبح واليا على أذربيجان. ابن سعد: الطبقات، ج٤، ص٢٨٩. ابن الأثير: أسد الغابة، ج٣ ص٣٦٥-٣٦٦.

(٤٧) البلاذري: فتوح ص ٣٢٩.

(٤٨) حول تعريف أذربيجان ينظر: هامش (٢٦)، ص٤ من البحث.

(٤٩) البلاذري: فتوح، ص ٣٢١. الطبري: تاريخ، ج٤، ص ص ١٣٨، ١٣٩، ٣٢١. ابن الأثير: الكامل، مج٣، ص٢٧. ولمزيد من التفاصيل الكاملة ينظر: حسام الدين علي غالب النقشبندي: أذربيجان، ص ص ٦٧ ـ ٨٥.

ومن الواضح فان انتشار الإسلام السريع في كوردستان وكثرة عدد المدن التي فتحت وفي وقت قليل قياسا للمناطق الأخرى دلالة واضحة على سلامة الكورد وصدقهم في تعاملهم مع القوات الإسلامية. غير ان بعضا من مناطق كوردستان لم تقبل على الإسلام منذ الوهلة الأولى فكان ذلك طبيعيا لان الإنسان عدو لما يجهله وقد شاهد الكورد من القوات الغازية التي سبقت الفتوحات الإسلامية الكثير من الظلم والاضطهاد ولذلك فلا عجب ان يقف بعض الكورد موقفا سلبيا من الفاتحين المسلمين غير ان ذلك الموقف السلبي سرعان ما تغير واصبح الكورد جزءا لا يتجزء من المسلمين أو دولة الإسلام ومن جملة مواقف المقاومة الكوردية نشير إلى ما يلي: ففي إقليم الأهواز وفارس وبعد هزيمة الساسانيين في معركة القادسية هرب القائد الساساني الهرمزان قاصدا الأهواز في إقليم خوزستان(٥٠). ومن هناك اخذ يجمع العدد والعدة لمنع المسلمين من توسع فتوحاتهم، فاصدر الخليفة عمر رضي الله عنه أوامره إلى قادة المسلمين لوضع حد لأعمال الهرمزان، وبعد معارك عدة استطاع المسلمون من اسر الهرمزان وفتح بلاد الأهواز سنة ٢٣هـ(٥١).

(٥٠) الطبري: تاريخ، ج٤، ص٧٢. ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٩٦٣.

(٥١) البلاذري: فتوح، ص ص ٣٦٢ ـ ٣٧٤. الطبري: تاريخ، ج٤، ص ١٨٣. ابن الأثير: الكامل، مج٢، ص٤٦.

اما عن فتح بلاد فارس فسار سلمة بن قيس الاشجعي[٥٢] إذ يقول الطبري: (حتى التقى بمشركي الأكراد فدعاهم الإسلام فرفضوا)، عند ذلك دعاهم للجزية فأبوا، عندها قاتلهم المسلمون قتالا شديدا وانتصروا عليهم[٥٣].

ويورد البلاذري عن فتوح قلاع فارس: (كان عمر بن الخطاب أمر ان يوجه الجارود العبدي[٥٤] سنة ٢٢هـ إلى قلاع فارس فلما كان بين جرى[٥٥] وشيراز[٥٦] تخلف عن أصحابه في عقبة هناك ومعه أدوات فأحاطت به جماعة الأكراد فقتلوه فسميت تلك العقبة، عقبة الجارود)[٥٧].

وقد زادت المقاومة الكردية كلما توغل المسلمون في إقليم فارس فعندما حاول المسلمون فتح مدينتي فسا[٥٨] ودار بجرد[٥٩] بقيادة الصحابي سارية بن زنيم

(٥٢) سلمة بن القيس الاشجعي: صحابي ورد له ذكر في قتاله لأكراد الأهواز بعدما نزل الكوفة. ينظر ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٣٣. الطبري: تاريخ، ج٤، ص ص ١٨٦-١٩٠. ابن حجر: الإصابة في تميز الصحابة، ج٣، ص١٤٨.

(٥٣) الطبري: تاريخ، ج٤، ص١٨٧.

(٥٤) الجارود العبدي: سيد قومه (بني عبدالقيوم) كان حسن الإسلام صلبا على دينه وقد استشهد بأرض فارس، سنة إحدى وعشرين. ينظر ابن حجر: الإصابة، ج١، ص٢٢٦.

(٥٥) جرى: وهي مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا. ياقوت: معجم، ج٢، ص١٣١. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٣٦.

(٥٦) شيراز: قصبة فارس وهي مدينة محدثة في الإسلام من بناء محمد بن قاسم الثقفي وهي تابعة إلى كورة اصطخر. الاصطخري: مسالك الممالك، ص٥٠. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٤٦.

(٥٧) فتوح، ص ٣٨١.

(٥٨) فسا: مدينة جليلة من كورة دار بجرد كثيرة الأهل والتجارة. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٣٨.

(٥٩) داربجرد: إحدى كور إقليم فارس تحوي مدنا كثير ينظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٣٨.

الكناني[٦٠] اعترضهم أكراد فارس وجرت على اثر ذلك معركة شديدة كان النصر فيها حليف المسلمين وفي هذا يقول الطبري: (وقصد سارية بن زنيم فسا وداربجرد حتى انتهى إلى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله ثم انهم استمدوا فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم وقاتلوا القوم من وجه واحد فهزمهم الله)[٦١].

مما سبق يظهر من تحركات جيوش المسلمين نحو المناطق الكردية ابتداء من مدينة جلولاء سنة ١٦هـ في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه وانتهاءً بـ(دوين)[٦٢] مسقط رأس صلاح الدين الأيوبي في سنة ٢٥هـ في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) التي لم تتجاوز العشر سنوات اسلم فيها غالبية الكورد!!!

مما سبق يدل ان تلك المدة الزمنية القليلة (عشر سنوات) هي دلالة واضحة وأكيدة تدل على ان انتشار الإسلام في غالبية مناطق كوردستان كان بشكل سلمي و بإقبال الكورد أنفسهم وان الإسلام لم ينتشر بحد السيف أو هربا من الجزية[٦٣].

---

(٦٠) سارية بن زنيم الكناني: صحابي كان له دور مشهود في فتح إقليم فارس وبالذات كورة داربجرد. الطبري: تاريخ، ج٤، ص ص ١٧٨-١٧٩. ابن حجر: الإصابة، ج٣، ص ٥٣.

(٦١) الطبري: تاريخ، ج٤، ص ١٧٨. ابن الأثير: أسد الغابة، ج٣، ص ٢٤٤. والكامل، مج٣، ص ص ٤٢-٤٣. ابن حجر: الإصابة، ج٢، ص٥٣.

(٦٢) دوين: هي مدينة دبيل عاصمة أرمينيا. البلاذري: ص ٢٠٦.

(٦٣) نوقشت بإحدى الجامعات الكوردستانية بقسم العلوم الإنسانية رسالة ماجستير باسم _كوردستان و پروسەی بە ئیسلام کردنی کورد) ومعناه (كوردستان ومشروع أسلمة الكورد). في معظم الفصول التي تناقش الفتوحات فيها كلام من هذا النوع. وينظر على سبيل المثال أيضا ملا.ع.كوردي، كردستان و الأكراد، المكتبة التقدمية الكردية (١٣) (بيروت ١٩٩٠)، ص ص ٧٤-٧٥. عزالدين مصطفى رسول، الواقعة في الأدب الكوردي، (صيدا، بيروت، ١٩٦٦)، ص ٥٦.

ومن الجدير بالذكر ان بعض مناطق الكورد كانت من ضمن المنطقة التي نشأت عليها دول عديدة في التاريخ(٦٤) وقامت عليها أيضا إحدى اقدم الحضارات وهي حضارة بلاد ما بين النهرين(٦٥).

ولقد خضع الكورد قبل الإسلام لقوى مختلفة لقرون طوال منهم: الاخمينيون (٥٥٠-٣٣١ق.م) بعد سقوط دولة ميديا الكوردية على أيديهم(٦٦). ومن ثم خضعوا بعدها للاسكندر المقدوني(٦٧) وخلفائه السلوقيين لحوالي قرنين من الزمن(٦٨) الذي يعتبر بريق فكرهم وفلسفتهم كبريق الفكر والفلسفة الغربية الآن إذ ان الغربيين الآن يفتخرون بأنهم وريثوا تلك الحضارة. حيث كونوا بعد مجيئهم حضارة تسمى في التاريخ بالحضارة الهلنستية (٣٣٠-١٤٧ق.م)(٦٩).

ومن ثم جاء الفرثيون ويسمون بالاشكانين ودويلات الطوائف أيضا من (١٤٧ق.م-٢٢٤م) وهم يعتبرون المحررين لأقوام المنطقة من الاستعمار(٧٠).

---

(٦٤) ينظر: ص٦ من البحث.

(٦٥) سبق تعريفها في هامش (١٢، ص١٣) من البحث.

(٦٦) ينظر: طه باقر: مقدمة، ج١، ص ص ٥٧٢ ـ ٥٨٦. صادق نشأت و مصطفى حجازي: صفحات من تاريخ إيران (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ص ٣٩ ـ ٥٥.

(٦٧) ينظر: هارولد لامب: الاسكندر المقدوني، (بغداد، ١٩٦٥)، ص ص ٢٠٩-٢٢٥. طه باقر: مقدمة، ص ص ٥٨٧-٥٩٢.

(٦٨) ينظر: طه باقر: مقدمة، ص ص ٥٩٢-٥٩٩.

(٦٩) إبراهيم سلمان الكردي وعبدالتواب شرف الدين، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، (الكويت، ١٩٨٧)، ص ١٨.

(٧٠) ينظر: طه باقر: مقدمة، ص ص ٥٩٩-٦١٠.

وقد سقطت تلك الدولة على أيدي الساسانيين (٢٢٤-٦٣٧م) الذين قاموا بحركة تجديد في كافة نواحي الحياة وبالأخص الدينية حيث أعادوا كتابة الافيستا المقدس لدى الزرادشتيين بشكل يواكب التطورات التي حدثت في تلكم العصور[٧١].

وفي العصر الساساني ظهر ماني[٧٢] الذي كان يدعو إلى الزهد والتقشف[٧٣]، وجاء بعده مزدك الذي كان بعكسه يدعو إلى الإباحية في كل شيء[٧٤]. وخضعت بعض المناطق الكردية لسلطة الروم البيزنطيين[٧٥] والأرمن[٧٦].

وجدير بالذكر ان تلك القوات التي احتلت مناطق كوردستان بقرون طوال كانت لها أديانها العريقة ومبادئها الفلسفية وكانت لها حضارة قديمة ذات تأثير كبير على ارض كوردستان وكان من بين تلك الديانات اليهودية[٧٧] والمسيحية[٧٨] وكان عدد لا بأس به من الكورد يدينون بتلك الديانات فلماذا انقلبوا إلى الإسلام؟ ولماذا أيضا لم ينقلبوا ضد الإسلام؟ رغم السنين الطوال ورغم ضعف دولة الإسلام وتمكنهم من الاستقلال والخروج من الإسلام وبحرية!! علما انه لا توجد أي دلالات

(٧١) ارثر كريستنسين: إيران في عهد الساسانين (بيروت، ١٩٨٢)، ص ص ٧٢-٨٤.

(٧٢) م.ن. ص ص ١٣٠-١٦٩.

(٧٣) م. ن. ص ص ١٦٩-١٩٦.

(٧٤) م.ن. ص ص ٣٠٢-٣٤٨.

(٧٥) عبدالقادر احمد اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية، (صيدا، بيروت، ١٩٦٦)، ص ص ٥٣-٦٦.

(٧٦) فلاديمير مينو رسكي: الأكراد ملاحظات وانطباعات، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ص ١٣٥-١٣٧.

(٧٧) بنيامين بن يونيا التطيلي الأندلسي: رحلة بنيامين، ترجمة عزرة حداد (بغداد، ١٩٤٥)، ص ١٠٦. ارثر كريستنسن: إيران، ص ١٤٤.

(٧٨) ادي شير: تاريخ كلدو اشور، مج٢، ص ص ٤٨-٨٥. البير ابونا:تاريخ البير ابونا (شهداء المشرق)، (بغداد ١٩٨٥)، ص ٤٦. توما المرجي: كتاب الرؤساء، ص ص ٢٨-٣٥.

تاريخية ولا نصوص علمية تشير ولو من بعيد إلى وجود تعصب إسلامي ضد تلك الحضارات غير ان الذي حصل هو تغلب الإسلام عليها ودخول الإسلام بشكل هادئ إلى نفوس أبنائهم.

أيعقل ان منطقة كوردستان التي تبلغ مساحتها حسب بعض الإحصائيات حوالي ٤٥٠٠كم[٧٩] تدخل في الإسلام بالإكراه؟!.

وهكذا اعتنق الأكراد الإسلام بعد ان وجدوا فيه حقا انه طريق تحررهم وعزتهم وسعادتهم وقد مر على تشرفهم بالإسلام اكثر مما اعتنقوا الديانة الزرادشتية عند مجيء الإسلام، فلماذا لم يخرجوا على الإسلام بعد ظهوره بما يزيد الألف عام وهل هم على استعداد ان يتركوا هذا الدين رغم الحملة الشرسة عليهم ورغم بريق تلك الديانات والأفكار التي تستعمل كل الوسائل والاغراءات المتاحة لتغير عقيدتهم؟؟!! ان الدارس لطبيعة الكورد اليوم يجد أن غالبيتهم متمسكين بحقيقة الإسلام اكثر مما يتصور.

لذا نعتقد بان انتشار الإسلام بهذه السرعة لم يكن بالسيف والإكراه ولا بالخوف من الجزية وغيرها من الأباطيل التي يزعم بها المغرضون بل هناك أسباب ووسائل لهذا الانتشار السريع يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا: أسباب تتعلق بالإسلام

الإسلام دين الفطرة والناس مفطورون عليه والإسلام هو دين سائر الأنبياء والمرسلين وقد ورد في القرآن الكريم (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)[٨٠]

(٧٩) صلاح عصام أبو شقرا: الأكراد شعب المعاناة، (بيروت، ١٩٩٩)، ص١٧.

(٨٠) قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)(آل عمران: من الآية١٩).

وجاء في قوله تعالى أيضا: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ)[٨١].

والإسلام في الأصل معناه الاستسلام لله في أمره ونهيه على لسان الوحي. ولما كان صلاح الإنسان باستسلامه لله، فان الله لم يترك أمة من الأمم إلا وأرسل إليها رسولا (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)[٨٢] وإذا كان الإسلام يتفق مع بقية الديانات التي سبقته في وحدة الأديان ومصدرها الإلهي، فانه يختلف معها في كونه الدين النهائي الخاتم لجميع الأديان (وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)[٨٣].

ولم يكن الإسلام خاتما للديانات الأخرى فحسب، بل انه انفرد أيضا بخاصية أخرى لم يتميز بها أي دين سابق له، وهذه الخاصية كونه دينا عاما أنزله الله على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ليقوم بتبليغه إلى الناس كافة عربا وعجما بيضا وسودا، إنسا وجنا قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[٨٤] وتبعا لهذه المهمة فان الإسلام اختلف عن غيره من الديانات الأخرى بأنه دين صالح لكل زمان ومكان، وانه مساير لكل العصور مهما اختلفت نواحي الحياة فيها.

والإسلام بعقيدته وشريعته يتضمن من الفضائل ما يجعل الناس يحرصون عليه اشد الحرص على ان يدخلوا فيه، ثم ان الإسلام يعطي الداخل فيه كل شيء ولا يقتضيه شيئا، فان الإنسان يكسب الصلة المباشرة بالله سبحانه وتعالى ويجد الطريق إليه ليقف بين يديه خمس مرات في اليوم ويدعوه دون حجاب، ويكسب الأمل في حياة اسعد وارغد في هذه الحياة الدنيا ثم حياة الخلود في دار البقاء، ولا

---

(٨١) الحج: (الآية: ٧٨).

(٨٢) فاطر: (الآية: ٢٤).

(٨٣) الأحزاب: (الآية: ٤٠).

(٨٤) الأنبياء: (الآية: ١٠٧).

يكلفه ذلك إلا النطق بالشهادتين واتباع شريعة الإسلام وكلها خير ومساواة وعدل في حين يتقاضى رجال الدين في الأديان الأخرى الإتاوات في كل مناسبة(٨٥).

علما ان الدخول في الإسلام بسيط لا تعقيد فيه يكفي للمرء ان يكون مسلما ان ينطق بالشهادتين كما ان العقيدة في الإسلام جاءت واضحة ودقيقة قدمت الكثير من المبادئ الأصلية لخدمة عموم البشر فقد رفضت العنصرية والتلوين ونادت بالاخوة بين الناس ورفضت الطبقية ولم تظهر في المبادئ سابقا ولا لاحقا من عقيدة ان تقف بوجه عقيدة الإسلام(٨٦).

فالله سبحانه جعل الإسلام خفيفا على القلوب قريبا إلى النفوس لوضوحه وصدقه ما يكاد الحق يطرق أذن الرجل حتى يصل الإيمان إلى قلبه، فإذا استقر في قلبه لم يكن هناك قط سبيل إلى إخراجه.

لذلك عندما أستشعر الكرد هذه المعاني ورأوا هذه مطبقة في أعمال وتصرفات الطلائع الأولى التي بشرت بهذه الدعوة واقتنعوا بان المسلمين العرب ليسوا محتلين ولا إقطاعيين ولا ظلمة، فتأثروا بهذه الرسالة الخالدة فآمنوا بها واحتضنوها ونشروها، وهم حتى الآن من الأشداء المدافعين عن هذا الدين

ثانيا: أسباب تتعلق بالفاتحين

ولقد حمل الفاتحون الإسلام بأمانة وصدق ولذلك قدموا للشعوب التي فتحوها مثلا طيبا للإسلام والمسلمين فلم يعتدوا على الشعوب المغلوبة ولم يسلبوها حقوقها وكانوا دعاة حق إلى الله تعالى مما دفع بالشعوب المغلوبة إلى محبتهم والتعاون

(٨٥) للمزيد عن سماحة الإسلام ورفضه للعنصرية والتلوين ينظر: صلاح الدين الأيوبي، الإسلام والتميز العنصري، (بيروت، ١٩٨١). ص ص ١٤٢-١٤٨ و ص ص ١٧١-١٧٥.

(٨٦) ارثر كريستنسن: إيران، ص ص ١٣٠-١٦٨.

معهم والسماح لهم بالاستقرار بأراضيهم وإقامة العلاقات الاجتماعية معهم مما سيشار إليها تباعا.

وقد سلك الإسلام في انتشاره في الأرض مسالك شتى ودخل إلى القلوب من مداخل مختلفة، فما كانت الفتوح إلا إحدى وسائل المسلمين لفتح الطريق أمام الدين ليدخل إلى القلوب.

فأما المدخل الأكبر فكانت الكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة التي يحملها المسلم المؤمن إلى غير المؤمن ويبين له فضائل الإسلام وما يفتح لمعتنقيه من أبواب الخير والأمل واطمئنان النفس فيستجيب الرجل للإسلام ويدخل فيه عن طيب نفس وعن أمل في عظيم رحمة الله وثوابه العريض.

وكان للقدوة الحسنة أيضا دوره الواسع في انتشار الإسلام، فالمسلم الفاتح كان له إيمان بالإسلام عميق وله خلق قويم، وليس بالضرورة ان يكون متفقها في العلم متبحرا فيه ولكن خلقه الكريم، وحسن معاملته ونظافته وحسن سمعته وتعاونه مع غيره تحبب الناس فيه وفي دينه، فلا يزالون في إعجاب به حتى تهوى أفئدتهم إلى ما يؤمن به ليكونوا مثله(٨٧).

ثالثا: أسباب تتعلق بالكورد

لولا الإسلام، لما استطاعت قوة أن تؤثر على هذه المنطقة وخير شاهد على ذلك ما أشرنا إليه من الأقوام التي حكمت المنطقة وهم أصحاب ديانات وحضارات مختلفة(٨٨) فماذا بقي من تأثيرهم على الكورد بعد مجيء الإسلام..؟

---

(٨٧) أبو الحسن علي الندوي: ماذا خسر العالم، ص ص ٥٦ ـ ٥٨.

(٨٨) ينظر: ص ٦ من البحث.

فالمسلمون عندما جاءوا من الجزيرة العربية كان كل شيء غريبا عنهم، فالدم غير الدم وكانت اللغة غير اللغة وكانت العادات والأعراف غير العادات والأعراف، فليس ثمة من هذا الوضع ما يعطفهم على الحركة الإسلامية وتقربهم منها... مع استثناءات في الحيرة والشام حيث بعض التقارب بين الإيرانيين والعرب(٨٩).

ومع هذا فالكرد غالبيتهم كانوا يقطنون المناطق الجبلية حيث الطبيعة الخلابة والمياه الوفيرة والهدوء.... التي أثرت على نفسيتهم فدخلوا في الإسلام، إضافة إلى انهم كانوا منزعجين من الأوضاع المتردية السائدة في منطقتهم من كافة النواحي(٩٠).

إذ النظام السائد في المنطقة هو الملكية المطلقة وكان الاكاسرة ملوك الساسانين يدّعون ان في عروقهم دم الهي، وكانت رعايا الدولة ينظرون إليهم كآلهة، ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر، وان ما يعطونه لأحد من فضول أموالهم وفتات نعيمهم انما هو صدقة وتكرم من غير استحقاق، وليس للناس قبلهم إلا السمع والطاعة، وهذا الحق ينتقل فيهم كابرا عن كابر وأبا عن جد لا ينازعهم ذلك إلا ظالم ولا ينافسهم إلا دعي نذل(٩١) ولم

(٨٩) محمود شيت خطاب: قادة فتح العراق والجزيرة، ص ص ١٣ ـ ٢٢. احمد عادل كمال: الطريق إلى دمشق، ص ص ٢١ ـ ٣٣.

(٩٠) ينظر: الدينوري: الأخبار، ص ص ٧٠-٧٨-٨٢-٨٤-٨٩-١٠٤. ينظر: ابو الحسن علي الحسن الندوي: ماذا خسر العالم، ص ص ٥٦-٥٨.

(٩١) الطبري: تاريخ، ج٢، ص ٨٥.

يخطر ببالهم ان يملكوا عليهم كبيرا أو رئيسا من رؤسائهم إذا لم يكونوا من البيت المالك[٩٢].

وكانت ديانتهم الزرادشتية وكتابهم المقدس الافيستا، فكانوا يؤمنون بالهين: اله الخير واله الشر، ويعبدون النار، وحرموا من الاشتغال بالأشياء التي تستلزم النار فاقتصروا في أعمالهم على الفلاحة والتجارة وأقرت هذه الديانة نظام الطبقات الجائر في المجتمع[٩٣] وطبيعي هذا يخالف العقيدة الصحيحة.

فالنار لا توحي إلى عبادها بشريعة ولا ترسل رسولا، والنتيجة هي حرمان رعايا الدولة الإيرانية في حياتهم من دين عميق جامع يكون حافزا على التقوى وفعل الخير... ويكون نظاما للأسرة وتدبيرا للمنزل وسياسة الدولة ودستورا للامة. ويحول بين الناس وطغيان الملوك، وعسف الحكام، ويأخذ على يد الظالم وينتصف المظلوم، واصبح أصحاب الديانة الزرادشتية لا فرق بينهم وبين الإباحيين في الأخلاق والأعمال[٩٤].

وكان المجتمع الساساني مؤسس على اعتبار النسب والحرف ـ كما أشرنا ـ، وكان من قواعد السياسة الساسانية ان يقنع كل واحد بمركزه الذي منحه نسبه، ولا يستشرف لما فوقه وهذا النظام الجائر قد جاء إقراره في الديانة الزرادشتية، وكان

(٩٢) مفيد رائق محمود العديد: معالم تاريخ الدولة الساسانية، (بيروت، ١٩٩٣)، ص ص ٩٤-٩٥. ارثر كريستنسن: إيران، ص ص ٨٥-٨٦.

(٩٣) ارثر كريستنسن: إيران، ص ص ١٣٠-١٦٧.

(٩٤) ينظر: الدينوري: الأخبار، ص ص ٨٩-١٠٤. أبو الحسن: الندوي، ص ص ١٠٩-١١٠. ارثر كريستنسن: إيران، ص ص ٨٤ ـ ١٢٠.

الملوك الساسانيون لا يولون وضيعا وظيفة من وظائفهم، وكانت العامة كذلك طبقات مميزة بعضا عن بعض تميزا واضحا(٩٥).

وكان في هذا التفاوت بين طبقات الأمة امتهان للإنسانية يظهر ذلك جليا في مجالس الأمراء والأشراف حين يقوم الناس على رؤوس الأمراء كأنهم جماد لا حراك فيهم ويجلسون مزجر الكلب(٩٦).

ولم يكن النظام المالي والسياسة المالية في إيران عادلة ومستقرة بل كانت جائرة ومضطربة في كثير من الأحوال تابعة لأخلاق الجباة العاملين وأهوائهم والأحوال السياسية وفي بعض الأحيان عندما تنشب الحرب وليست عند الدولة أموال تنفقها على الحرب فكان يلجئها ذلك إلى ضرائب جديدة وكانت المقاطعات الغربية والتي – من ضمنها المنطقة الكردية – هدف هذه الضرائب دائما(٩٧).

وفوق كل هذا كان غير الفرس يعانون ما نسميه الآن بالتفرقة العنصرية حيث كانوا يبالغون في تمجيد القومية الفارسية ويرون ان لها فضلا على سائر الأجناس والأمم(٩٨). فضلا عن هذا فان الدولة الساسانية دخلت في حروب داخلية وخارجية لم يجني فيها مواطنوها إلا الدمار والقتل(٩٩).

---

(٩٥) ينظر: الدينوري: الأخبار، ص ٦٦. أبو الحسن علي الحسن الندوي: ماذا خسر العالم، ص ص ١٠٢-١٠٢.

(٩٦) ارثر كريستنسن: إيران، ص ص ١١٠-١٢٩. أبو الحسن علي الحسن الندوي: ماذا خسر العالم، ص ١٠٨.

(٩٧) ارثر كريستنسن: إيران، ص ص ٧٢، ٨٥، ١٩٦، ٢٤٥.

(٩٨) أبو الحسن علي الحسن الندوي: ماذا خسر العالم ص ٦٢.

(٩٩) ارثر كريستنسن: إيران، ص ص ٧٢-٧٨-٢٤٣.

وهكذا فلم يكن هناك جانب من جوانب الحياة في المجتمع الساساني والتي كان الكرد جزءا منها إلا وفيها جوانب من الظلم والقهر والحرمان. ولم يكن حال الكرد الذين يعيشون في ظل الإمبراطورية البيزنطية بأفضل حال ممن يعيشون تحت حكم الساسانيين(١٠٠).

لذلك عندما عرف الكورد الإسلام ورأوا تطبيقه في المسلمين الفاتحين دخل اغلبهم في الإسلام. فلو كانت الفتوحات الإسلامية هجمة عسكرية من قبل العرب المسلمين أو استعمار العرب للأكراد لاستوجب ذلك إمدادا كبيرا من القوات الإسلامية العربية حتى تتمكن من السيطرة على منطقة الكورد عسكريا. وهذا يعني وجود أعداد كبيرة جدا من المقاتلين تتناسب وحجم الكورد المنتشرين في الأودية العميقة والسهول الواسعة والجبال الكبيرة إذ لا يمكن تجاوز أي من مدن كوردستان والذهاب إلى الأخرى من الناحية العسكرية إلا وان تبقى قوات عسكرية كبيرة في المدينة الأولى للحفاظ عليها من حركات العصيان والتمرد، وهذا يتطلب استمرار وجود دعم عسكري بالعدد والعدة وهذا مما لم تشر إليه المصادر التاريخية.

فقد كانت القوات الفاتحة تندمج مع شعوب المدن المفتوحة وتصبح جزءا لا يتجزأ منها بل في كثير من مدن كوردستان اصبح المقاتل الكردي إلى جانب المقاتل العربي المسلم يعمل جنبا إلى جنب من اجل الدفاع عن المدن الكوردية والعمل على استمرار الفتوحات في المدن الأخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى أي قوة في العالم تترك وراءها أعدائها ثم تبدأ بالاستمرار بالانتشار خلفهم فهذا ما

(١٠٠) ادوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوط (د.ط) (د.ت)، ج١، ص ص ٢٠٥، ٢٤٨، ٥٢٩. أبو الحسن علي الحسن الندوي: ماذا خسر العالم، ص ص ٩٨-٩٩. عبدالقادر احمد اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية، ص ص ٥٣-٦١.

حصل في المناطق الكوردية إذ ما ان تم فتح تلك المناطق إلا وبدا المسلمون بالفتوحات فيما بعدها[١٠١] وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الفاتحين قد اطمأنوا إلى إسلام الكرد وليس هذا فقط بل ان الكورد شاركوا إخوانهم المسلمين العرب في الدفاع عن حياض الإسلام ضد هجمات الروم البيزنطيين والأرمن والخزر وشاركوا في الفتوحات وخاصة في بلاد ما وراء المنطقة التي يسكنها الكورد مباشرة[١٠٢].

لم تشر المصادر التاريخية مطلقا إلى وجود عصيان أو غزو مسلح ضد الإسلام والمسلمين الذين جاءوا من خارج كوردستان ولو دخل الإسلام في كوردستان بالضغط والإكراه لحدثت ردود فعل عسكرية وفكرية وسياسية ولطالعتنا المصادر التاريخية أو الأدبية أو غيرها من المصادر بنصوص تاريخية أو قصائد وأبيات شعرية لتدوين ذلك سلبا أو إيجابا. وما موجود في المصادر التاريخية هو الإشارة إلى تمسك الكورد بالإسلام بعيدا عن كل الضغوط والتأثيرات الخارجية مما يتناسق مع الوحي القرآني الذي جاء فيه (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّين)[١٠٣].

لو انتشر الإسلام بالضغط والإكراه أو بتأثير العرب لتطلب ذلك وقتا طويلا إذ كم يقدر الزمن الذي يستغرق فيه العربي لتعليم اللغة الكوردية واللهجات لمحلية وكم كان بإمكانه من الوقت كي يسيطر على سهوله الفسيحة وأعماق وديانه وصعود جباله الشاهقة والمناطق النائية وقراها الكثيرة.

---

(١٠١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٩٦. الطبري: تاريخ، ج٩، ص٢٦١. ابن الأثير: الكامل، مج٥، ص ٣١٣. مسكويه: تجرب الأمم، ج٦، ص ٥٦٠.

(١٠٢) البلاذري: فتوح، ص ص ١٩٣-٣٠٤-٣٢٦-٣٩٠. ابن اعثم: الفتوح، ج٢، ص ص ٦٢-٦٨.

(١٠٣) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية(٢٥٦).

مع ملاحظة سرعة انتشار الإسلام ونعتقد ان التجارة والدعاة وعوامل أخرى لا يسمح المقام بالإشارة إليها كان لها دور فعال في نشر الإسلام بين الكرد قبل وصول الفتوحات الإسلامية إليها[١٠٤]. وهم بعد ذلك قاموا بنقل الإسلام إلى جبال كوردستان وقراهم البعيدة وبأسلوبهم ولغتهم مما ليس بمستطاع المسلم العربي ان يفعله وبتلك السرعة.

وللتدليل على ذلك الواقع الحي للتفاعل بين الفاتحين والشعوب المغلوبة ما أشار إليه شاز جوليان بقوله: (لقد احدث الفاتحون قفزة نوعية لم يحدث مثلها في التاريخ لقد تخطت الحدود والحواجز وأصبحت الثورة الفرنسية والروسية بالنسبة إليها متواضعين جدا لقد اتحد الفاتحون والسكان الأصليون اتحادا قويا والى الأبد)[١٠٥].

وهناك ملاحظة أساسية يجب ان ينتبه إليها الكورد وهي ان محاولة التأكيد على ان الإسلام انتشر بالإكراه بكوردستان وبتأثير العرب القسري عليهم هو بحد ذاته استهانة بقيم الكورد الأصلية وبرجولتهم وبقوتهم وبطبيعة بلادهم وهو يعني بأسلوب خبيث آخر ان الكورد كانوا ضعافا وبدون إرادة وكانوا مهزومين بشكل عام أمام القوات الإسلامية وهذا جميعا ترفضه فطرة الكوردي الأصيل والرجولة الكوردية التي لا ترضى بالهوان وترفض الاستكانة للأجنبي المحتل وقد اثبت

(١٠٤) ينظر على سبيل المثال: عبدالله مصطفى: أمجاد الكورد، مخطوطة غير منشورة في جامع الشيخ مصطفى النقشبندي، ص ص ٤٥-٤٨. البدليسي: شرفنامة، (اربيل، ٢٠٠١)، ص ٨٩. رواية البدليس، يمكن ان لا يكون اصل لهذه الرواية بهذا الشكل والمضمون وبالأخص ان البدليسي لم يشر إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة. رغم شيوع هذه الرواية بين الناس بهذا الشكل غير العلمي. (الباحث).

(١٠٥) شارل اندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، (تونس ١٩٧٨)، ص ٩٢.

الكورد وعلى مدى التاريخ قوتهم وأصالتهم في الدفاع عن حقوقهم ولم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الغزاة الذين لم يرضوا بهم بعكس الفاتحين من المسلمين الذين وجدوا في دينهم مصداقية مع العرب واخوة لا تنتقص من قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[١٠٦]. وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): (لا فرق لا بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى) حيث انصهر الكورد إلى جانب العرب في بودقة الإسلام يعملون جنبا إلى جنب من غير ان يستعلي أحدهم على الآخر في خدمة الحضارة الجديدة والدولة الجديدة.

واما قول البعض بان الكرد دخلوا في الإسلام بسبب الجزية فهذا تحامل واستهانة أخرى بالكرد وتاريخهم، إذ كيف يجوز لأحد ان يترك دينه مقابل دفع دنانير معدودة في السنة، مع العلم ان الذي يدخل في الإسلام يدفع مبالغ اكبر من مبلغ الجزية كالزكاة والصدقات. ويشترك بالجندية مما فيه من الناحية المادية من خسارة اكبر بكثير جدا من مبالغ دفع الجزية.

(١٠٦) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية (١٠).